

الأدب الرقمي.. بين مؤيد ومعارض

الأشهب عبد السلام
(ط. د) جامعة حمّة لحضر، الوادي

slamo0550@gmail.com

بوخاري فتحي
أستاذ مساعد ب، جامعة حمّة لحضر، الوادي

fethiboukhari@gmail.com

- الملخص:

منذ حوالي عشرين عاما ظهر في الساحة الأدبية إنتاج أدبي يُقرأ على شاشة الكمبيوتر، ومن خصائصه أنه يقوم بدمج الوسائط الإلكترونية المتعددة، نصية وصوتية وصورية وحركية في الكتابة على فضاء يسمح للقارئ بالتحكم فيه، وقد سمي بالأدب الرقمي. وقد أصبح الانخراط في هذا النوع الجديد من الأدب مطلباً حضارياً بامتياز وليس نزوة أو موضحة، فالمسألة محسومة معرفياً وثقافياً وأنتروبولوجياً.. وقد بدأ الأدب الرقمي يأخذ مساحته لدى القارئ والكاتب، إذ أنّ تصفّح وسائل التواصل الاجتماعي والكتب الرقمية بات أسهل من القراءة التقليدية لدى الكثيرين، وبالمقابل يرى آخرون عكس ذلك تماماً، من خلال قولهم بأنّ لهذا النوع سلبيات كثيرة. ولهذا سنحاول في هذه الورقة استعراض الرأي المؤيد للأدب الرقمي والرأي المعارض في نفس الوقت، وذلك لأنّه يساعد كثيراً في بلورة رؤية مستقبلية واستشراف مستقبل الأدب الرقمي.

- الكلمات المفتاحية: الأدب - الأدب الرقمي

- Summary:

About twenty years ago, a literary production has appeared on the computer screen. It is characterized by the integration of multiple electronic media, text, sound, visual and dynamic in writing on space that allows the reader to control, and it was called digital literature.

Engaging in this new type of literature has become a requirement of civilization par excellence, not fancy or fashion, the issue is settled cognitively, culturally and anthropology .. Numérique literature has started to take an area of the reader and the writer, as the surf social media and digital books is easier than the traditional reading of the many, on the other hand, others see just the opposite, by saying that this kind of many drawbacks. That's why we'll try in this paper to review the views of both Numérique literature and dissent at the same time, because it helps greatly in the future vision and the future of Numérique literature.

- Keywords: Literature - Numérique Littérature

- مقدّمة:

رغم ترحيب الكثيرين بالثقافة الرقمية، إلا أنّها ما تزال تواجه قوى عديدة تحاول قمعها والتصدي لها بشدّة، وبما أنّ الأدب الرقمي هو أحد مظاهر هذه الثقافة، فقد لقي إلى جانب الموقف المؤيد له، الكثير من الاتهامات والمعارضات من قبل النقاد والكتّاب، حتى بلغ الأمر في بعض الأحيان، إلى عدم اعتراف بعض الكتّاب الورقيين بالكتّاب الرقمي.

والأدب الرقمي شأنه في ذلك شأن أي إبداع جديد، يظنّ معرّضاً لعيون النقد التي ترمقه بنظرات الريبة والقلق إلى أن يستقر ويثبت جدارته على الساحة السياسية والنقدية، أو ينسحب منها.

وبين مؤيد ومعارض، ظهر جدل كبير سنحاول أن نلقي الضوء عليه في هذه الورقة البحثية، محاولين في ذلك استعراض بعض سلبيات وإيجابيات الأدب الرقمي بالوقوف عند آراء كل من الفريقين "المؤيد والمعارض"، وذلك في محاولة لبناء تصوّر لمستقبل الأدب العربي، والتنبؤ بمصير الثقافة

الرقمية، وما إذا كانت ستستمر ثقافة النشر الورقي في مجتمعاتنا العربية باحتلال الصدارة وترتبعها على العرش، أم ستنتجح في منافستها الثقافة الرقمية، وإطاحتها عنه واحتلال مكانتها.

- مفهوم الأدب الرقمي:

عرف العالم آداباً عديدة منذ القدم وعند مختلف الأمم، حيث نجد الأدب الكلاسيكي والرومانسي والرمزي والواقعي لدى الغرب وذلك بحسب الاتجاهات والمذاهب المعروفة آنذاك، ونجد الأدب الجاهلي، والأموي، والعباسي، والأندلسي.. وصولاً إلى الأدب الحديث والمعاصر عند العرب، فإن تتبعنا تاريخ هذه الآداب نجد معظمها مرتبط بالظروف المحيطة والمذهب المتبني والعصر الذي نشأت فيه، فتكون التسمية نسبة لذلك، ونحن حالياً في عصر التكنولوجيا، والتقنية الرقمية التي مسّت كلّ المجالات، بما فيها الأدب . فالتقاء الأدب بالتقنية الرقمية نتج عنه ما يعرف بالأدب الرقمي، والذي اكتسب حلّة أدبية ثابتة فيه، وأخرى تقنية متغيرة تتحكّم فيها تكنولوجيا العصر، بدورها المتسارعة والمستمرة، نحو التقدّم والتطور المتواصل ، ويعتمد النصّ الرقمي أساساً في تشكيله على وسيط التكنولوجيا، الذي سمح بميلاد مفهوم جديد للنص ليصبح "النص الرقمي" نسيجاً من العلامات التي لا تجعله يخضع لوضع قائم وثابت. وإتّما نصّيته تتحقّق من حيويته (كرام، 2009، صفحة 50) كما يمكن القول بأنّ الأدب الرقمي هو جنس أدبي جديد جعل من الرقمية جزءاً من كينونته، فإذا كان الأدب هو التعبير الجميل الذي وسيلته اللغة، فالأدب الرقمي هو التعبير الأجل عن الحياة بلغة رقمية مشقّرة، وقيل أيضاً بأنّه: "لقد وقع الأدب بما هو فنّ الرسم بالكلمات وثيقة تحالف بينه وبين التكنولوجيا فكان نتاج ذلك الجنس الأدبي الجديد الذي يُطلق عليه (الأدب الرقمي) (Littérature Numérique) والذي يعتمد إلى توظيف وسائط مختلفة (معمري، 2016، صفحة 01)

- تعريف الأدب الرقمي:

انتقلت النصوص من الفضاء الورقي إلى الفضاء الرقمي أو الإلكتروني على أساس أنّها تكتب باللغة الرقمية التي تعتمد ثنائية (1/0)، فاكسب الأدب من خ لال ذلك صفة الرقمية ، فظهر ما يعرف بالأدب الرقمي (Littérature Numérique) أو الأدب الإلكتروني (Littérature Numérique) وهو ما لمسناه عند أغلب النقاد والأدباء غد تفريقهم بين المصطلحين، إلّا أنّ بعضهم حاول إيجاد فوارق بينهما، وتوضيح دلالاتهما، فسعيد يقطين مثلاً، فضّل توظيف المصطلح الأول (الرقمي) في كلّ ما يدخل في نطاق صناعة النصوص وكيفية بنائها لتصبح قابلة للتلقي أو نقد ها وتحليلها، أما المصطلح الثاني (الإلكتروني) فيرى أنّه من الأجدر استعماله لكل ما يتوقّف عند حدود الاستعمال الأدبي (النشر الإلكتروني، الصحافة الإلكترونية، البريد الإلكتروني...) (يقطين، 2008، صفحة 154)

- أولاً: الموقف المعارض للأدب الرقمي:

ييدي أصحاب الموقف المعارض للنشر الإلكتروني بشكل عام، وللأدب الرقمي بشكل خاص الكثير من المخاوف والقلق إزاء الكتابة الرقمية ومستقبلها، ولديهم الكثير من التحفظات تجاهها، والحجج الراضة لها، والمآخذ التي تؤخذ عليها، ويرجع موقفهم السلبي هذا لأسباب عدّة، منها ما يتعلق بالناحية الصحية، ومنها ما يتعلق بالناحية الثقافية والإيديولوجية، ومنها ما له علاقة بقضايا أدبية ولغوية. هذه المواقف المختلفة، تشكّل معاً رؤية تشاؤمية تجاه استمرارية الأدب الرقمي من ناحية، واستحالة تغلّبه على نظيره الورقي من ناحية أخرى، وسنحاول فيما يلي عرض مجمل الحجج الرئيسية ركّز عليها هؤلاء في معارضتهم للأدب الرقمي:

1- عدم وجود حصانة للنشر الإلكتروني:

إنّ مع ظهور شبكة الأنترنت، و اتساع نطاق النشر الإلكتروني، أصبح هذا الحق عرضة للانتهاك. ويرى جووست سمايرز أن ما يتم إبداعه بواسطة الوسائل الرقمية ويصبح ملكية عامة على الأنترنت، يمكن تغييره في أي لحظة، وهذا يعني أن مفهوم حق النشر بدأ يتلاشى مثلما يذوب الثلج في الشمس، وأنّ حقوق الملكية الفكرية للأعمال الإبداعية ستصبح شيئاً عفا عليه الزمن (جووست، 2005، صفحة 283) وهكذا، بدأ ينتاب بعض الكتاب القلق الشديد بشأن أعمالهم المنشورة على الشبكة، لأنّهم ستفتقد الشرعية، إذ لا حصانة للكتابة ولا للمادة، ويستطيع أي شخص سرقة مادة غيره بسهولة، والتعديل عليها قليلاً ثم نسبتها إلى نفسه. من هنا فإنّ النشر الإلكتروني يعرض النص لخطر الإفلات من قبضة صاحبه الأصلي، حتى أصبح بالإمكان أن تقرأ المادة نفسها والأفكار ذاتها في مواقع مختلفة بأسماء مؤلفين مختلفين إنّ موضوع السرقات الأدبية لا يمكن اعتباره وليد الأنترنت، بل هو ظاهرة قديمة، تعرّض لها الأدب منذ عصور. فالسرقات الشعرية مثلاً، عرفت منذ العصر الجاهلي. وقد أشار فهد أبو خضرة في كتابه "السرقات الأدبية وما يتصل بها" (2006) إلى نوعين من هذه السرقات: سرقة خفية وسرقة

ظاهرة. أما الظاهرة فهي أن يؤخذ المعنى كآله، إمّا مع اللفظ كآله أو معظمه أو بعضه. وأمّا الخفية، فهي أن يتشابه المعنى عند القائلين مع اختلاف اللفظ والوزن والقافية. أو أن يؤخذ المعنى وتضاف إليه زيادة تحسنه (فهد، 2006، صفحة 28) وعليه، فإنّ خوف الكتاب من نشر أعمالهم على الشبكة، لم يتبدّد بعد، وهاجس المسنّ بإبداعاتهم أو نسبتها لغيرهم سيظلّ يلاحقهم ما دامت المشكلة لم تحلّ بشكل نهائي، ممّا يعطي أفضلية للنشر الورقي في هذه الحالة.

2- غياب الرقيب:

نتيجة لغياب الرقيب ونشر المواد دون غربلتها ودون فرض رقابة لغوية، فقد نشرت مواد ركيكة جدّاً من حيث الأسلوب والصياغة على الشبكة، كما تفشّت الأخطاء اللغوية الإملائية والنحوية والصرفية. ويقول خلف علي خلف في هذا الموضوع: "إنّ النص الشعري لم يعد يحفل بأخطاء الإعراب والتشكيل لأسباب منها أنّه لا يوجد مدقق لغوي قبل النشر كما في النشر الورقي، وكذلك لأنّ بنية هذه الحياة التي يحاطبها النص تتجاوز حدود الشكل وتذهب مباشرة إلى حيز المحتوى الفهمي للنص والقارئ (خلف، 2006، صفحة 27)

3- إلغاء الخصوصية:

يرى أصحاب هذا الموقف بأن بعض أجناس الأدب الرقمي تلغي الخصوصية، أو سمة التميز. فالأجناس الأدبية المشتركة مثل الشعر الجمعي أو الرواية المشتركة، ليست ملكاً لأحد، ولا تخصّ كاتباً معيناً، بل هي مزيج من أساليب مختلفة لكتاب مختلفين، وهذا أمر غير مستحب، لأنّه يعني من جهة، أن النص خرج من سلطة الكاتب الذي لم يعد المالك الوحيد له، إذ يمكن أن يشترك عدة أشخاص من كتاب وقراء في كتابة نص واحد. وترى فاطمة البريكي، أنّ فكرة المشاركة في إنتاج النص الأدبي بالنسبة لأصحاب هذا الرأي، مرفوضة، لأنّها خارجة عن كل الأعراف والتقاليد التي ألفناها والتي تقول بوجود مؤلّف واحد للنص (البريكي، 2006، صفحة 232) وطبعاً فكرة الكتابة المشتركة عرفت في الأدب الورقي أيضاً، لكنّها لم تعرف كجنس أدبي قائم بذاته كما هو الحال في النصوص المشتركة الرقمية.

4- طرق باب المحظورات:

لقد أتاح النشر الإلكتروني على شبكة الأنترنت ظاهرة طرق باب المحظورات في الأدب العربي، وخاصة فيما يتعلق بالمحظورات الاجتماعية وفي مقدّمتها موضوع "الجنس"، وهو موضوع يتصدّى له المحافظون أو الملتزمون دينياً، إذ يقول خلف علي خلف إنّ الشبكة نشطت بسبب غياب الرقيب، إنتاج النص الإباحي بدون تشذيب وإعادة صياغة وتحايل، ليطمئن نشره كما هو، فمستّ بذلك المحظورات العربية (خلف، 2006، صفحة 26)

5- محو الثقافة والهوية الأدبية:

تعتبر شبكة الأنترنت القاعدة الرئيسية لبلورة فكرة العولمة. هذه العولمة تمارس ضغوطات كثيرة على مختلف أشكال وأساليب التعبير الفني، بما فيها الأدب، لكي تنزع عنها طابعها المحلي، وتقضي على التنوع، وتفرض على المجتمعات نسقاً جديداً متجانساً قدر الإمكان. ويرى سميرز أنّه لا توجد هناك ثقافة محكمة الإغلاق على نفسها، لا تتسرّب إليها مؤثرات أخرى، كما لا توجد ثقافة محصورة في حدودها المحلية، ولذلك فإنّ الفنون والآداب تختلط وتمتزج في كل أنحاء العالم، ولعلّ أحد الجوانب التي تمثّل تحدّي المجتمع الحديث، هو أن هويتنا الثقافية تغدّيها الآن تعبيرات فنية أكثر من ذي قبل، وهو أمر حيوي وضروري لما فيه من إثراء، شريطة أن نحافظ كل ثقافة على تميّزها وخصوصياتها. لكن العولمة تعمل من أجل القضاء على التميّز، فإزالة الصبغة المحلية هو الوجه الآخر للعولمة، وهذا معناه محو الثقافة والهوية اللتين تميزان مجتمعاً معيّناً عن غيره، وبالتالي تمحو الخصوصية عن أساليب التعبير، فتتهار فكرة الأصالة التي ينبغي أن تكون موجودة في المنتج الفني (جووست، 2005، صفحة 212.214) من هذا المنطلق، يرى أصحاب الموقف الرفض للأدب الرقمي باعتباره أحد نتائج العولمة، أنّه يهدّد الثقافات والهويات المحلية، لأنّه يطمح إلى الانصهار مع الآخر من خلال نشره على الشبكة العالمية، وهذا خطر كبير لأنّ معناه "نفي الأدب" الذي لا بدّ أن يكون إبداعاً ممثلاً لصاحبه، فإذا أصبح البشر نسخة واحدة متشابهين في الفن والتعبير، فلن يكون هناك إبداع متميّز، وبالتالي فإنّ العولمة بالنسبة لهؤلاء المعارضين هي ضد الأدب وضد الفن وضد الثقافة.

يقول حلمي خضر ساري، إنّ الثقافة الجديدة التي تفرضها العولمة على كافة المجتمعات، تمتلك خصائص فريدة تجعلها تختلف اختلافاً جوهرياً يصل حد القطيعة مع الخصائص المألوفة للثقافة ومع تعريفها الذي يتعامل معه باعتبارها مجموعة من السمات الخصوصية الروحانية والمادية والفكرية والشعورية التي تميّز مجتمعاً أو مجموعة اجتماعية، إلّا أنّها ثقافة الخليط الثقافي وتتسم بصيغة سريعة ومتسارعة متنامية ومتطوّرة لا تكاد تعرف حدّاً تقف عنده (ساري، 2005، صفحة 270)

وكل أديب يطمح أن يندمج في القرية العالمية الموحدة، ال بد أن يكتب بما يتلاءم وروح هذه الثقافة، وهذا يعني أن الأدب الرقمي هو أدب بال هوية محددة، وال ينتمي إلى ثقافة معينة، بل هو أدب مفتوح، مما يجعل جميع الغيورين على الثقافة العربية وعلى التراث العربي والهوية العربية، غير مستعدين لقبول فكرة الثقافة الواحدة أو الخليط الثقافي، فيتمسكون بالثقافة الأصلية التي تميز كل شعب عن غيره، وبالتالي كل أدب عن غيره، أما الأدب الحالي من الثقافة غير المعبر عنها، فهو ليس بالأدب الأصيل بالنسبة لهم.

6- سقوط النخبة وبروز الشعبي:

يقول الغدامي: إنّ اختراع الكتابة كان حدثاً هاماً في تاريخ الثقافات، حيث تأسست النخب الثقافية وتأسس معها خطاب خاص له مزاياه وشروطه، ومن هنا ظهر دور هذه النخب بوصفها طبقة متميزة في مقدّماتها، ممّا جعل لها أهمية خاصة، وصارت بما تملكه من لغة وخطاب، صاحبة الصوت والكلمة.

وفي المقابل ظهرت جماعات لا تحصى من المهتمّين ثقافياً الذين، الذين لا يملكون قدرة التعبير عن أنفسهم وليس لديهم وسيلة إلى ذلك. إلّا أنّ الحال قد تعيّر مع مرور الوقت، لا سيما مع تقدم وسائل الاتصال، إذ جاء البثّ الفضائي والهاتف الجوال والأترنت، وكلّها وسائل جديدة مكّنت أولئك المهتمّين من امتلاك وسيلة يمكنهم استعمالها للتعبير عن أنفسهم دون وسيط أو رقيب.

ويرى الغدامي أن أخطر تغيير في وسائل الثقافة يكمن في تحول الاستقبال من اللغة المكتوبة إلى الصورة المتلفزة، ثم في ظهور الفضائيات وسرعة انتشار المعلومة المصورة ممّ يجعل الاستقبال سريعاً من جهة، وفردياً من جهة أخرى، فلقد صار الإنسان اليوم في مواجهة مباشرة وفردية وتلقائية مع العالم عبر الأترنت، وفي مقابل هذه الفردية والتلقائية، فإنّ الصور لا تستقر على حال. وبما أنّها لا تستقر على حال، وبما أنّها سريعة ومتحدّدة، فقد صارت عاجزة عن الثبات بعكس ما كانت عليه الثقافات التقليدية المعتمدة على الكلمة المكتوبة.

ويضيف الغدامي قائلاً إنّ هذا حدث كبير تغيرت معه قوانين اللعبة الثقافية وتغيّرت معه الرموز، واستلمت القيادة في فعل التأثير على الرأي العام عناصر لم تكن من قبل، وترجع دور النخب كرموز قيادية. فتراجع الأدب بوصفها خطاباً برحوازيّاً، وحلّت محلّه الصورة بوصفها خطاباً وع لامة انفتاح ثقافي واستقبال جماهيري عريض ومتعدّد، فتأسست عبر ذلك ثقافة شعبية (الغدامي، 2006، صفحة 51.43)

وهكذا عرف فضاء الأترنت بأنّه "الفضاء المفتوح"، الفضاء الذي يكمّن الجميع من التوجّه إليه دون قيود للإدلاء بأرائهم والتعبير عن أفكارهم ونشر أفعالهم. وقد أدّى هذا إلى ظهور أشخاص على الساحة الأدبية ليست لديهم الكفاية الأدبية والخبرة والمهبة الكافية لنعتهم بالأدباء. ومع ذلك فهم يصدرون كتاباتهم وينشرونها في المواقع الأدبية المختلفة تحت زاوية شعر أو قصة أو مقالة.

ويستطيع الناقد المتمرّس والقارئ المطلّع أن يلمس في نصوص هؤلاء ركافة الأسلوب، وضعف الصياغة، وكثرة الأخطاء الإملائية واللغوية، وسطحية المضمون، وذلك كلّه يرجع إلى ديمقراطية النشر الإلكتروني التي تعطي فرصاً متساوية للجميع.

وقد نتج عن هذه الديمقراطية على حدّ تعبير الغدامي، "وجود نصوص أدبية قيّمة ومثيرة للاهتمام، مقابل أخرى تافهة وسطحية، أو نصوص فوق وأخرى تحت، وهذا ما لم يكن ليحدث في النشر الورقي" (الغدامي، 2006، صفحة 51.43)

وعليه، يرى بعض النقاد الذين يقرون بخطورة هذه الظاهرة، أن اهتمامنا يجب أن يكون منصباً على تلقين القراء منذ الصغر مبادئ "الفلترّة" والاختيار والتمييز بين ما هو جيّد وما هو أقلّ جودة، في عصر يعجّ بمزيج من هذا وذاك

كما أنّ أدلة أخرى قدّمها المعارضون لهذا النوع من الأدب على غرار قولهم بأنّه أدب النخبة المعلوماتية فقط، وأنّه أدب الشباب فقط وبيس أدب كلّ الفئات، كونه صعب على كبار السن لما يواجهونه من صعوبات في استخدام التقنيات التكنولوجية الحديثة في قراءتهم للنصوص الأدبية، كما أنّهم قالوا بأنّ الألة ليست مصدراً للإبداع بل العقل البشري هو من يعتبر كذلك، وأنّ أكبر تحدّي يواجهه الأدب الرقمي هو عدم وجود أطر موحدة لتعليم أصول ومبادئ الكتابة الرقمية إلى يومنا هذا، وكذلك صعوبة إحاطة القارئ بكلّ ما يُنشر على الشبكة نظراً لكثرة المنشورات وكثرة الكتاب والنقاد فيها، وقال بعض هؤلاء أنّه أدب قد يستغلّ لتحقيق أهداف غير أدبية كنشر الصور الإلكترونية مرفقة مع النصوص و... الخ.

– ثانياً: الموقف المؤيد للأدب الرقمي:

على الرغم ممّا أورده أصحاب الموقف المعارض للأدب الرقمي من سلبيات النشر الإلكتروني، فهناك من يشير إلى إيجابيات لا يمكن أن نتجاهلها. فللأدب الرقمي مؤيّدون متفائلون واثقون بقدرته على تجاوز العقبات وإثبات جدارته على الساحة الأدبية. وستنطرق فيما يلي إلى الأدب الرقمي من وجهة نظر مؤيديه، موضحين حججهم وادّعاءاتهم وتعليقاتهم لقبوله وتأييده، وإبراز مزاياه وإيجابياته التي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1- إثراء النص بواسطة لبنات ثقافية مختلفة:

يتيح الأدب الرقمي إمكانية التقاء أقلام عربية مختلفة من شتى أقطار الوطن العربي لتجتمع في إنتاج عمل أدبي واحد. إذ يمكن أن يشترك في كتابة النص الواحد أكثر من عشرة أدباء من دول مختلفة، كما رأينا في النصوص المشتركة من قبل، وهذا بالطبع له مزاياه التي تعود بالنفع على الأدب. فكل أديب يأتي محملاً بثقافة وخبرات مختلفة عن تلك التي يملكها غيره. هذه الثقافة وهذه الخبرات تنعكس على النص، وبذلك فهو يضيف لبنة جديدة ومختلفة إلى النص. تجعل هذه اللبنة النص لوحة فسيفسائية، تغذيه وتثريه بالتنوع على صعيدي الأسلوب والمضمون، خاصة إذا كان المشتركون يتمتعون بمستوى أدبي رفيع.

وتكشف الدراسات والأبحاث التي أجريت على الشباب لفحص تأثير الأنترنت عليهم ثقافياً، أنّ الشبكة لعبت دوراً في هذا المجال، إذ تشير الإحصائيات أنّ 79.6% من الشباب تمكنوا من تغذية معرفتهم الاجتماعية وإثراء الجانب الثقافي في حياتهم، بما أتاحتها لهم الشبكة من معارف ومعلومات. لذا ينظر العديد من علماء الاتصال والاجتماع إلى الدور الفاعل الذي تضطلع به الأنترنت في مجال التواصل الثقافي والمعرفي، إذ تعمل أكثر من أي وسيلة اتصال أخرى على نشر وتبادل الإنتاج الفكري والثقافي والمعرفي بين مستخدميها بطرق مختلفة، من ضمنها المراسلات والكتابات الأدبية (ساري، 2005، صفحة 165)

2- حرية التعبير:

لقد تجاوز النشر الإلكتروني الكثير من المعوقات الرقابية ومعوقات النشر التي يكابد الناشر والمؤلف في سبيل تجاوزها. إذ يعد عنه الهاجس الرقابي الذي يتحكم في توجيه أسلوبه الكتابي بوعي أو بدون وعي. فالشبكة هي مكان مناسب لنشر ما يكتبه المثقف دون الحاجة للقلق على نتاجه من الخضوع لعملية الغزلة كما يحصل في النشر الورقي عادة.

يقول حلمي خضر ساري إنّ من أهم الأدوار الإيجابية التي لعبتها الشبكة هو مساندتها للشباب بشكل خاص في التعبير عن وجهات نظرهم السياسية والدينية والاجتماعية، التي قد لا يستطيعون التعبير عنها جهاراً في مجتمعاتهم، أو يمنعون من نشرها بالصحف والمجلات الورقية (ساري، 2005، صفحة 171)

لذا فالأديب أيّا كان يستطيع أن يعبر بكل صراحة عما يجيش بداخله تجاه معضلة سياسية أو دينية أو غيرها، وأن يطرح أفكاره بكل حرية دون خوف من أحد، ودون أن تردّ إليه مقالته أو نصه من قبل المؤسسة أو دار النشر لاعتبارات سياسية وغيرها.

3- سهولة تداول الكتب الرقمية:

أتاح النشر الإلكتروني إدخال تغييرات جوهرية على شكل الكتاب، فلم يعد مقصوراً على الشكل الورقي الذي ألفناه، بل أصبح يظهر بأشكال وأحجام مختلفة، وأصبح بالإمكان تنزيل العديد من الكتب على الحاسوب الشخصي وحفظها على الأقراص المدمجة. فمثلاً: يمكن اختزال قاموس يقع في 20 مجلداً على قرص واحد مجلد صغير.

إنّ تحويل الكتب إلى أقراص يسهّل التعامل معها من ناحية، ويشجّع الحصول عليها من ناحية أخرى. فالحصول على الموسوعات أو المعاجم الكلاسيكية القيمة باهظة التكلفة في النسخة الورقية، بينما يمكن الحصول عليها مجاناً بنسخة رقمية. وهذا يعني أنّ العديد من القراء والكتاب يستطيعون الحصول على الموسوعات والمعاجم، وكذلك على الروايات والداواوين الشعرية بمجرد صدورها ونشرها رقمياً، مجاناً أو بأسعار زهيدة مقارنة بالنسخ الورقية. الأمر الذي يسهم في مضاعفة المكتبات الخاصة لدى الأفراد، فلا حد للكتب التي يمكن الحصول عليها، ولا قيد لمتسع رفوف المكتبات البيتية.

إنّ النشر الإلكتروني للأدب يمكن كل قارئ من الحصول على عشرات الروايات والقصص والداواوين الشعرية وكذلك الدراسات والأبحاث، ممّا يزيد من فرص قراءتها والاطلاع عليها، وتبادلها بين الكتاب والأصدقاء.

وترى فاطمة البريكي أنّ الكتب الإلكترونية تتمتع بمزايا عديدة تمنحها أفضلية على الكتب الورقية بالنسبة لكل من القارئ وال كاتب. فمثلاً، يمكن توزيع الكتاب الإلكتروني بسهولة أكثر في جميع أنحاء العالم، متخطياً الحواجز والتعقيدات التقليدية التي تواجه الكتاب الورقي. فالكثير من الكتب الورقية التي تصدر في العالم العربي، قد لا تصل إلى جميع بلدان العالم لأسباب سياسية مثلاً، لكن إذا تمّ تحويلها إلى نسخ رقمية سيصبح بمقدور أي قارئ أينما كان أن يطلع عليها.

وكذلك يمكن التخلص من قيود الكمية للطبعات وعدم نفاذها. أضف إلى ذلك أنّ الكتاب الإلكتروني يقدم للقارئ خدمات وإمكانيات للتفاعل أكثر من الكتاب الورقي، ويتميّز بخصائص تقنية يتعدّد وجودها في النص الورقي، مثل الإضاءة والصوت والموسيقى وإمكانية الاستماع إلى النصوص بدلاً من قراءتها. (البريكي، 2006، صفحة 44.43)

4- الأدب الرقمي يتماشى وعنصر السرعة:

من العوامل الهامة التي حققتها النشر الإلكتروني ومن إيجابياته الهامة قضية السرعة، سرعة انتشار العمل ووصوله إلى القراء. فكلنا نعرف أنه في حالة الطباعة الورقية يتوجب على المؤلف أن ينتظر مدة من الزمن حتى يرى كتابه النور، أما في النشر الإلكتروني فما عليه سوى أن يرسل المادة لأحد المواقع فينشر مباشرة أو في وقت قصير، كذلك يمكن للمؤلف أن ينشر عشرات المقالات في غضون أسبوع واحد في أكثر من موقع وهذا ما لا تتيحه المطبوعات الورقية المقننة بضوابط صارمة وشروط نشر قاسية، إذ تشتت دار النشر على المؤلف أحياناً لا ينشر مقالته في صحيفة أو مجلة أخرى إلا بعد مرور فترة زمنية معينة. هذا يعني أنّ المقال لن يصل إلى كل الناس بسبب عدم توزيع المجلة أو الصحيفة في كل أنحاء البلاد. ويقول جميل حمداوي في هذا السياق إنّ قضية السرعة التي يحققها النشر الإلكتروني هامة جداً لأنّ "تحيين نشر النصوص والأخبار والمقالات في ظروفها الزمنية المناسبة ودواعيها السياقية أمر هام، ولا يمكن أن يتحقق ذلك بشكل سريع وفعال في المجالات والصحف والكتب المطبوعة التي تطبع بشكل بطيء ولا تليّ كل حاجات الناشرين ورغباتهم المطلوبة، كذلك يبقى الانتظار والمماطلة من سمات النشر الورقي في حين يتغلب عليها النشر الإلكتروني.

ويقول إيتالو في حديثه عن أهمية السرعة، إنّ السرعة هي إحدى خصائص الإبداع الست في الألفية الثالثة وهو يتحدث عن العالقة بين السرعة المادية وسرعة الفكر، ويرى أنّ الأدب يجب أن يتماشى مع زمننا المحتقن بالسرعة وأزمنة المعلومات، إذ أنّ التسارع في التغييرات الجارية في العالم على مستويات متعددة يتلاءم مع طوفان السرعة الهائل، لذا فالنشر الإلكتروني هو المكان المناسب الذي يلائم الإبداع في الألفية الثالثة بينما يظل الورق غير قادر على اللحاق بركب العالم المتقدّم بسرعة هائلة (إيتالو، 2005، صفحة 53)

5- الأدب الرقمي هو "أدب موسوعي":

الوصية الخامسة من وصايا إيتالو للألفية الثانية هي "التعددية"، حيث يصبح الأدب عامة الرواية خاصة شبكة من الصلات بين الأحداث والناس وأشياء العالم، ومن هنا تأتي تعددية العلاقات في العمل الأدبي. ويرى إيتالو أنّ التحدي الكبير الذي يواجهه الأدب هو أن يكون قادراً على نسج مختلف أنواع المعرفة سوياً، ومختلف الشيفرات في رؤية العالم متشعبة ومتعددة الوجود.

والأدب الرقمي هو المجال الحي الذي يتيح هذه التعددية بسبب خاصية نفي المكان التي تلغي الحواجز بين الدول ليتحوّل العالم إلى قرية واحدة، وبسبب تقنية النص المرتبط التي تمكن الأديب من وصل عمله بما شاء من فروع العلم والمعرفة. وبالتالي تتحقّق اللامحدودية المقترحة في الأدب القادم.

ويرى إيتالو أنّ هناك وجهين للتعددية: التعددية من حيث عدد الكتاب المشتركين في عمل واحد، تنوعهم واختلاف هوياتهم، والتعددية من حيث المضمون، فالعمل الأدبي الرقمي أصبح الفن الشامل الذي يحوي داخله مختلف أنواع المعرفة ومختلف أنواع الفنون، ممّا يجعله أكثر ثراءً من نظيره الورقي (إيتالو، 2005، صفحة 107)

يستطيع كاتب الأدب الرقمي، وبفضل تقنية النص المرتبط، أن يجعل من روايته موسوعة شاملة تتفرّع وتشعب إلى موضوعات عديدة خارجة عن الأدب، كالعلوم والجغرافيا والهندسة والرياضيات، لكنّها مرتبطة بالهيكلة بطريقة أو بأخرى، ممّا يثري العمل الأدبي. ومن هنا يطلق إيتالو على هذا النوع من الأدب اسم "الأدب الموسوعي"، الذي يخلّ محلّ "إيّة" الأنا المفكرة، مع تعددية موضوعات وأصوات ومشاهد العالم. هذا الأدب يستغرقه الميل نحو الانتظام والدقة الذهنية والإدراك الشعري، ولكنّه انتظام ودقة الإدراك الفلسفي والعلمي في الوقت نفسه (إيتالو، 2005، صفحة 113.112)

ويدافع إيتالو عن الأدب في الألفية الثانية، الذي يحقّق "الرواية كشبكة شاسعة"، بقوله إنّّه قد يعترض معترض بالقول إنّّه كلما مال العمل نحو تعددية الاحتمالات أكثر، كلما انفصل عن تلك النواة الواحدة التي هي "ذات" الكاتب أكثر، وانفصل عن نزاهته الداخلية واكتشافه لحقيقته الخاصة به. وهنا يجيب إيتالو بالقول: من نحن، ومن هو كل واحد ممّا إن لم نكن مركّباً من تجارب ومعلومات وكتب قرأناها وأشياء متخيلة؟ كل حياة موسوعة، مكتبة، مخزن أشياء، سلسلة من الأساليب، ويمكن أن يستبدل كل شيء باستمرار ويعاد تركيبه. ثم يضيف إيتالو قائلاً: فكروا بما يمكن أن يكون عليه الأمر في حالة امتلاك عمل روائي متصور من خارج "الذات"، عمل سيسمح لنا بالإفلات من منظور الذات الفردية المحدود! (إيتالو، 2005، صفحة 118)

وهكذا فالأدب الرقمي، لا سيما التفاعلي منه هو أدب شامل، غني، موسوعي، قادر على مزج الأدب مع مختلف أنواع العلوم، ولذلك يعتبره مؤيدوه، أنه الأنسب ليلّي حاجات الفرد في عصر تطغى عليه المعلوماتية من كل جانب.

6- الأدب الرقمي هو التعبير عن العصر الرقمي:

يقول الناقد الأردني محمد سناحلة في هذا الموضوع وذلك في كتابه رواية الواقعية الرقمية (2005) متسائلا باستنكار قائلاً: "هل تستطيع الرواية التقليدية بشكلها الحالي أن تستوعب الثورة الرقمية المتسارعة في العالم؟ أم أنّها يجب أن تتحلّى عن مكانتها لصالح أشكال تعبيرية وإبداعية أخرى أكثر قدرة وجاذبية؟ وهل الروائي بشكله وأدواته الحالية قادر على المضي في معامرة الرواية في ظل العصر الرقمي الأخذ بالتشكيل؟ وهل الكتاب بشكله الورقي المعهود قادر على استيعاب الرواية الجديدة القادمة؟ ويخلص سناحلة بعد طرح نظريته حول رواية الواقعية الرقمية باعتبارها رواية المستقبل، إلى نتيجة واحدة مفادها أن الأدب يجب أن يتغيّر، وشكل الرواية ومضمونها يجب أن يتغير، وأدوات الكاتب وشكل الكتاب يجب أن تتغيّر هي الأخرى، بحيث تصبح كلّها أدوات تعبير وأشكال قادرة أن تعبر عن روح العصر الرقمي وتطوره المتسارع . (سناحلة، 2005، صفحة 17)

ويضيف سناحلة أن الأنترنت غيّرت وجه العالم وشكل الحياة، فتغيّرت الناس وتغيّرت المفاهيم والقيم ، فقد ظهر إلى الوجود مفهوم الحياة الرقمية والمجتمع الرقمي والإنسان الافتراضي، هذا الإنسان وهذه الحياة بحاجة إلى أدب جديد يعبر عنها بأسلوب جديد ووسائل جديدة، هذه الوسائل يجب أن تأتي من داخل وسائل هذا العصر، فلا يمكن أن تعبر عن معنى عصر ما من غير استخدام نفس وسائله، فكما كان الحجر وسيلة التعبير عن معنى العصر الحجري، وكما كان الشجر وسيلة التعبير عن معنى العصر الزراعي، وكما كان الكتاب الورقي المطبوع وسيلة التعبير عن العصر الصناعي، فإنّ الأدب الرقمي هو الوحيد القادر على التعبير عن العصر الرقمي (سناحلة، 2005، صفحة 87.86) كما ذكر العديد من المؤيدين لهذا الأدب أدلة أخرى تدعّم موقفهم الداعم للأدب الرقمي مثل قولهم بأنّه أدب يحافظ على اللغة العربية وتواجدها، ويحميها من التآكل والانقراض، كما يساعد ويشجّع المبتدئين ويعطيهم فرصة الظهور على الساحة الأدبية، خاصة وأنّه مفتوح للجميع عكس الأدب الورقي الذي يبقى محتكراً من طرف قلة من الكتاب بسبب نقص المساحات الورقية المتاحة للجميع، كما أنّ الأدب الرقمي يتيح خاصية التغذية الراجعة أو ما يعرف بالتفاعل بين الكتاب والقراء، وكذا زيادة عدد القراء عموماً في الفضاءات الرقمية.

- خاتمة:

من خلال عرض سلبيات وإيجابيات الأدب الرقمي، ووقوفنا عند آراء كل من الفريقين (المعارضين للأدب الرقمي والمؤيدين له) دون أن نرتجح كفة فريق على الآخر، وذلك كلّ من أجل تبين حالة الأدب الرقمي الذي يحاول مجازاة الأدب الورقي، بل وقد يفوقه أحياناً، وأن لم يكن في الحاضر فقد يحدث هذا في المستقبل، فإنّه يتوجّب علينا أن نطرح عدداً من الأسئلة حول الموضوع ومخرجاته، والمتمثلة في مستقبل الأدب الرقمي والمصير الذي سيؤول إليه هذا النوع من الأدب، والمتأرجح بين معارض ومؤيد.

فإنّما أن يكون كما قال الفريق المعارض بأنّه أدب مشكوك في جودته وأصالته ويعاني سلبيات عديدة ويواجه معوقات كثيرة في طريق انتشاره بالمجتمع الأدبي وبين أوساط الكتاب والأدباء والتقاد، أو أن يكون كما قال الفريق المؤيد له بأنّه أدب يستحق الاحترام والتواجد في الساحة الأدبية في أوساط أهل الأدب والكتابة والتأليف والنشر، ليشقّ طريقه قداماً سعياً منه لمحاكاة الأدب الورقي وغيره من أنواع الأدب الأخرى، وهذا كلّ يجعلنا نفكر في مستقبل الأدب الرقمي وما هي الرؤية المستقبلية التي سيكون عليها؟

- قائمة المصادر والمراجع:

- الكتب:

- البريكي، فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006
- الغدامي، عبد الله، الثقافة التلفزيونية - سقوط النخبة وبروز الشعبي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006
- إيتالو، كالفينو، آلة الأدب، ترجمة حسام بدار، أزمنة للنشر والتوزيع، الدوحة، 2005
- جووست، سمايرز، الفنون والآداب تحت ضغط العولمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005
- خلف، خلف علي، الأنترنت كمؤثر داخلي في بنية النص الشعري، أوغاريت، ع7، كانون الأول، المركز القومي للكتاب، باريس، 2006
- ساري، حلمي خضر، ثقافة الأنترنت، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2005
- سناحلة، محمد، رواية الواقعية الرقمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2005
- فهد، أبو حضرة، السرقات الأدبية وما يتصل بها، منشورات مواقف، شفاعمرو، 2006
- كرام، زهور، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009
- يقطين، سعيد، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة رقمية عربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008

- المجالات:

- الرقمي , مجلّة العالم، الكتاب والأنترنّت في حلبة المصارعة، مجلّة العالم الرقمي الصادرة عن صحيفة الجزيرة، (2009/12/20)
- سومية معمري، مجلّة العلوم الإنسانية، المجلّد أ، الأدب الرقمي بين إشكالية المصطلح وخصوصية المبدع، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة، عدد 46، ديسمبر 2016.